غَرِيبُ الحَيِّ

وَافَىٰ الشِّتَاءُ وَكُوخِي لاَحَيَاةَ بِهِ...
كَالقَبْرِ لَيْسَ بِهِ نَارٌ وَلاَ نُورُ !
إنْ جَادَهُ الغَيْثُ أوْدَى بِي فَأغْرَقَنِي
وَإنْ عَتَا الرِيحُ هَدَّتْهُ الأعَاصِيرُ
شَيَّدتُهُ بِيَدِي وَالحَرُّ يَلْفَحُنِي
قَصْراً مِنَ الطُّوبِ لَمْ تَسْكُن بِهِ حُورُ
قَدْ كَانَ لِي جَنَّةً لَوْ أنَّ سَاكِنَهَا
لَمْ تَنْتَزِعَ مِنْهُ مَنْ يَهْوَىٰ المَقَادِيرُ
كَمْ ضَمَّ مَقْرُورَةً جَوْعَىٰ مُعَذَّبَةً
وَبَاتَ فِي حِضْنِهَا المَفْلُوجِ مَقْرُورُ !
أحْبَبْتُهَا وَهِيَ شَمْطَاءٌ يُؤَنِّسُنِي
أنِينُهَا إنْ نَأت عَنَّا المَزَامِيرُ
تَسِيرُ خَلْفِي كَظِلِّي لاَتُفَارِقُنِي
وَمِلْءُ أنْفَاسِهَا حَمْدٌ وَتَكْبِيرُ
كَأن عَيْنِي تَرَاهَا وَهِيَ مُثْقَلَةٌ
وَظَهْرُهَا مِنْ أذَى الأحْمَالِ مَهْصُورُ !
مُذْ أغْمَضَت عَيْنَهَا أعْدَدْتُ مَقبَرَتِي
وَرُب حَيٍ طَلِيقٍ وَهْوَ مَقْبُورُ !

وَارَيتُهَـا وَعُيُـونِي فَـوْقَ تُـرْبَتِهَـا
تَهْمِي وَقَلْبِـيَ دَامِي الجُـرْحِ مَعْصُـورُ
كَسّـرْتُ نَـايِي الـذِي كَـانَت تَحِن إِلَى
لُحُـونِـهِ وَتُنَـاغِيـهِ العَصَـافِيـرُ

* ● *

وَافَى الشِتَـاءُ وَمَـا فِي مَـوْقِـدِي حَطبٌ
وَلَا طعَـامٌ بِـهِ فِـي القِـدْرِ مَقْـدُورُ
وَلَا ذُبَـالَـةُ مِصْبَـاحٍ تُضِيءُ بِـهِ
وَلَا عَجُـوزٌ أحَـاجِيهَـا أسَـاطِيـرُ
أخْشَىٰ مِن الحَـرِمَـا أخْشَـاهُ مِنْ غَـرَقِي
وَمِن غَـدٍ قَـاتِمٍ، وَالغَيْـبُ مَحْـذُورُ
فَكَيْفَ تَحْلُـو حَيَـاةٌ بَعْـدَ غَيْبَتِهَـا
وَكَيْفَ يَمْـلأ عَيْنِي بَعْـدَهَـا نُـورُ ؟
قَـدْ كُنْتُ أمْنَـحُ أرْضِي جَـاهِـداً عَـرَقِي
وَتُشْبِعُ الغَيْـرَ مِنْ كَـدِي القَنَـاطِيـرُ !
أُعْطِي بِكُـلّ سَخَـاء مَـا تَجُـودُ بِـهِ
أرْضِي وَلَـمْ يُغْـرِنِي مَـالٌ وَلَا دُورُ
كَـأنَّنِي لَـمْ أكُنْ فِـي الحَـي سَيِّـدَهُ
يَـوْمـاً وَلَا عَـرَفَت سَبِقِي المَضَـامِيـرُ

أحْبَبْتُ أرْضِـي فَأعْطَتْنِي ذَخَـــائِرِهَـــا
وَالحُبُّ لـــلأرْضِ إنْشَـــاءٌ وَتَعْمِيـــرُ
وَعِشْتُ لِلْغَيْـــرِ مَجْبُـــولاً عَلَـى خُلُقٍ
فِي عَـــالَمٍ فَسَـــدَتْ فِيـــهِ المَعَـــايِيـــرُ !
وَاليَـــوْمَ أقْبَـعُ فِي كُـــوخِي وَبِـي لَهَفٌ
إلَى رَغَيفٍ وَمَـــاءُ الـــوَجْـــهِ مَـوْفُـــورُ !
حَسْبِي مِنَ القُـوتِ مَـــا أُحْيِي بِـهِ رَمَقِي
وَمِنْ مَبَـــاهِجِ دُنْيَـــاكُم أزَاهِيـــرُ !
فَمَنْ لِشَيْـخٍ أضَـــاعَ العُمْـــرِ فِـي تَعَبٍ
وَعَـــاشَ وَهُـوَ بِحُـبِّ الغَيْـرِ مَغْـــرُور !؟
لَمْ يَصْحُ مِـنْ نَـــوْمِـــهِ حَتّى دَنَـــا أجَلٌ
وَعَـاشَ وَهْـــوَ غَـرِيبُ الحَـيِّ مَهْجُـورُ !
يَـاعَـاشِقَ الأرْضِ هَـا قَـدْ عُـدْتَ ثَـانِيَـةً
إلَى الثَّـــرَىٰ وَخَـــدِيـمُ الأرْضِ مَأجُـــورُ
فَنَم بِهَـــا مُسْتَـــرِيحـــاً لاَيَضُـــرَّكَ مِن
أهْلٍ عُقُـــــوقٌ وَلاَ غَبْنٌ وَتَقْصِيـــــرُ !